

الأنثروبولوجيا القرآنية

(دراسة في ضوء التفسير الموضوعي)

الشيخ ليث عبد الحسين العنابي
بأمر إسلامي - النجف الاشرف

فحوى البحث

يبدأ السيد الباحث بتفسير معنى (علم الأنثروبولوجيا) وأنه يخص (علم الانسان). ثم يوضح أهداف البحث ثم مشكلة البحث من خلال المؤاخذات على علم الأنثروبولوجيا والاسباب التي ادت الى عدم تقبل هذا العلم في العالم العربي وبالاخص في مؤسساتها الدينية والتشريعية. ثم يبسط موضوعه (القرآن وعلم الانسان) ويقف عند حقيقة يراها الباحث مهمة جداً وهي: ان علم الانسان القرآني هو العلم الذي يتخذ من القرآن مرجعاً ومنطلقاً لكل ما يتعلق ببني الانسان من أجل صياغة تصور جديد وحقيقي نابع من الواقع ورافض لهيمنة النظريات المادية على هذا العلم وبما يحفظ للانسان خصوصيته وكرامته وموقعه الحقيقي. وبذلك فالباحث يضرب مثلاً من نظرية النشوء والارتقاء لداروين و يفندوها من خلال ادلة من حقيقة الخلق التي اوردها القرآن الكريم.

الذي اخترعت العلم الفلاني، أو ما شاكل ذلك، نعم هنالك أشياء كانت من اختراع الإنسان، و من صناعته، لكنها محدودة بقدر محدودية الجنس البشري بالنسبة لخلق الله سبحانه وتعالى.

و المهم في كل هذا و ذاك أننا و في هذا البحث سوف نحاول التركيز على أهمية هذا العلم، و أساس نشأته، و أسمائه التي اشتهر بها، و كل ما يتعلق به، و كذلك سوف نحاول البحث عن أن مرد هذا العلم إلى الكتب و الأديان السماوية و بالخصوص (القرآن الكريم).

و سوف نحاول أن ندرس أبرز معالم هذا العلم في القرآن الكريم، و الدين الإسلامي، والأحاديث الشريفة، في محاولة ليس منشأوها (أسلمة المعرفة) بل أن الدين الإسلامي كان و لا يزال الرائد في كثير من العلوم و المعارف.

و سوف نحاول أن نبين و نوضح هذا البحث بأبسط الطرق الممكنة داعين المولى القدير أن يوفقنا لكل ما فيه الخير و الصلاح أنه نعم المولى و نعم النصير.

والحمد لله رب العالمين

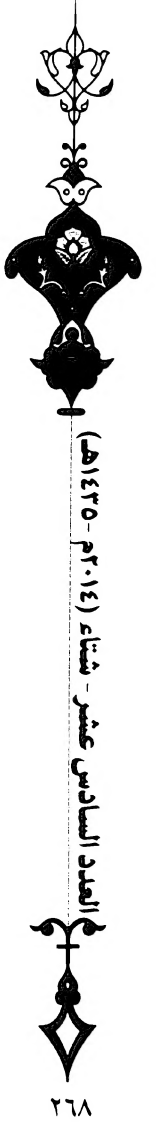
بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء و المرسلين و على أهل بيته الطيبين الطاهرين

في البدء لا بد من أن نقف عند قضية مهمة ألا و هي إن العلم الأول، و منشأ العلوم هو الله سبحانه و تعالى، و إن السلطة المطلقة هي لله تعالى، و إن الأديان السماوية، و الأنبياء و الرسل (عليهم السلام)، و كذلك الكتب السماوية قد أراد الله سبحانه و تعالى بها هداية البشرية، و رفع مكانة الإنسان، و إيصاله إلى الكرامة التي أرادها له سبحانه و تعالى.

و لا بد أن نعلم أن مرد أكثر العلوم هو الله سبحانه و تعالى، فهو الذي أنزلها و علمها بني البشر من أجل نفعهم و فائدتهم، نعم إن أكثرها متغيرة الأسماء، و إن اسماءها في مكان مختلف عن المكان الآخر، كل ذلك لا يغير الحقيقة التي مفادها؛ أن مرد العلوم لله سبحانه و تعالى.

و لا يمكن لأي إنسان أن يقول أنا



تمهيد

لا يخفى على أحدٍ بأن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى أنزله على نبيه ﷺ بهدف هداية البشر، ومن أجل خلاصهم، ولتحقيق سعادتهم في الدارين، فإن للقرآن الكريم أهمية كبيرة و عظيمة في تحقيق السعادة الحقيقية للبشرية في الدنيا والآخرة، وذلك لمن أهدى بهداه، و سار على نهجه.

و إنا لو حققنا، أو فحصنا، أو محصنا بدقة للفت أننا نرى شيئاً مهماً ألا وهو؛ أن هنالك محورين أساسيين يتكرران أمامنا دائماً في آيات القرآن الكريم وإن اختلفت الألفاظ والمحاور والأسباب والدواعي، هما (الله) جل وعلا، و (الإنسان) المخلوق الأكثر كمالاً على وجه البسيطة.

فهما أكثر محورين بطغيان على آيات هذا الكتاب المجيد، وبالتالي سنستفيد من أن هدف القرآن الكريم هو تنظيم علاقة (الإنسان) بـ(الله) تعالى فهو تعالى خالقه، وربّه، وسيدّه الذي عليه أن يطيعه ويعبده ويتقرب له.

وإن الله تعالى وضع الكثير من

التشريعات، والقصص، والعبر، والحكم، والأمثال، كل ذلك في سبيل رقي الإنسان نفسياً وروحياً، وجعل في هذا الكتاب الكثير من الأسرار والحكم والعلوم ما لو توصل إليها الإنسان، وفهمها، وطبقها لنال السعادة الأبدية في دنياه وآخرته.

ومن تلك الأسرار، والحكم، والعلوم (علم الإنسان) أو ما يسمى بـ(الأنثروبولوجيا) والذي سوف نحاول أن نقف عليه بما يحقق الفائدة المرجوة إن شاء الله تعالى.

أهداف البحث

إن استعراضنا قضية (الأنثروبولوجيا) جاء لعدة أسباب مهمة منها:-

١. إن القرآن الكريم ليس مقتصرًا على قضايا معينة لا يتجاوزها إلى غيرها، أو أنه خاص بزمان معين، أو مكان معين، أو دين معين، أو مذهب أو طائفة معينة، وإن دل ظاهر بعض الآيات على ذلك، لكن العمومات فيه كثيرة، فهو (حامل وجوه).

وإن تقييده بهذه الأشياء من قبل البعض ما هو إلا بدعة لا دليل عليها،



وتحجيم لكتاب الله الذي وضعه لهداية البشرية من أول يوم نزل فيه و إلى قيام الساعة و فناء الجنس البشري، فهو دستور البشرية و مصدر تشريعها الألهي شاء البعض أم رفض.

٢. إن القرآن الكريم تناول أسراراً و أحكاماً و علوماً كثيرة جداً، عُرِفَ بعضها فيما بعد، و تعددت و تنوعت أسماؤها، إلا إننا نجد لها أصلاً أو ذكراً في القرآن الكريم، فالقرآن الكريم قد وضح أساسيات معينة لقضايا كثيرة فُصِّل بعضها في أحاديث شريفة، أو ترك تفصيلها و تفريعها للإنسان وفق ثوابت معينة.

٣. إن معنى (الأنثروبولوجيا) هو (علم الإنسان)، و إن للإنسان الحظ الأوفر، و الذكر الأكثر في القرآن الكريم، بل إن القرآن جاء من أجل هذا الإنسان لتنظيم حياته، فهو كتاب الله سبحانه و تعالى الذي جاء للإنسان و أختص به، فهو الكتاب المختص بالإنسان و بكل ما يتعلق به من علاقات و تنظيمات، ومشاعر وأحاسيس،

و حركات و سكنات، ويمكن القول: أننا لو أردنا الكلام عن كتاب أختص بعلم الإنسان فليس هنالك أفضل من القرآن الكريم. لذلك فلا غرو و لا حساسية و إن أختلفت الأصطلاحات و الاستعمالات، (فلا مشاحة في الاصطلاحات).

٤. لقد أصبح (علم الأنثروبولوجيا) أو (علم الإنسان) من الاختصاصات الموجودة في الدراسات الأكاديمية، و بالخصوص في (الكليات و الجامعات)، بل دخل في الكليات الإسلامية، و الاختصاصات الإسلامية، فماذا نصنع؟.

هل نصفه بالكفر؟ أم نمنع التخصص به؟ أم نحرم دراسته؟ أم نغير اسمه؟ في الحقيقة كل تلك التساؤلات و أكثر منها قد وردت على هذا العلم، و على علوم كثيرة ذات مسميات غريبة، لكن لم يلتفت أحد إلى روح تلك العلوم، وهل إنها مستمدة من علوم عربية إسلامية، و هل تفيد هذه العلوم في تطور المنظومة العربية الإسلامية، و ما شاكل ذلك من الآثار،



فلو فعلنا ذلك لخرجنا من مشاكل كثيرة،
و عقد متراكمة خلفتها العقلية المتحجرة،
و الأفق الضيق لبعض الفئات التي تعيش
خلف الحضارة.

٥. إن ما مر به الإسلام والمسلمون
عبر التاريخ من مؤامرات وحروب
وإبادات ومعضلات وغزوات
وسرقات لم يتح الفرصة لجمع و فهم
التراث العربي الإسلامي وما به من
حقيقة، فبين ضائع ومسروق، و بين
محرف ومزور، و هذا ما يقر به أكثر
المسلمين إن لم نقل كلهم، فكيف نتشدد
في أمر لا بد لنا و وفق العقل السليم أن
نترؤى به لنعرف مدى مصداقيته، ومن
الذي ذكره، و متى ذكر، و هل جاء
نقض له، و هل قيل لحادثة خاصة أم
هو عام، و من الذي قيده و نقله، و ما
شاكل ذلك من طرق و أمور إن قمنا بها
لحققنا جزءاً كبيراً من المراد، و لوصلنا
إلى الحقيقة المطمئنة المفيدة.

لكن الأهم هو عدم الحكم المسبق
على الأشياء، بل لا بد من التأمل بها، و
قياس مدى فائدتها، و بالتالي أسلمتها،

أي صياغتها أو صبغها بالصبغة الإسلامية
لنحقق الهدف المنشود و الذي أراده لنا
الإسلام من أستيعاب الثقافات الأخرى
و صهرها في بوتقة الإسلام.

المؤاخذات على الأنثروبولوجيا

أو مشكلة البحث

و هنا لا بد أن نتعرض لأهم الأسباب
التي دعت إلى عدم تقبل (الأنثروبولوجيا)
في العالم العربي، وبالأخص في
المؤسسات الدينية و التشريعية، فعند بحثنا
تلك الأسباب يمكن أن نجملها بما يلي:-
١. السبب الأول:-

وهو عدم تقبل فكرة التطور الحيوي
عند الإنسان، و الموجودة في (نظرية
النشوء و الارتقاء) التي جاء بها (تشارلز
داروين)، و ذلك لتعارضها مع أساسيات
الإسلام، و التي منها كون الإنسان قد
خلقه الله سبحانه و تعالى كما هو عليه
الآن، و ليس هو نتاج حلقة تطورات ذات
أصل حيواني، و كذلك باقي المخلوقات.

وفي هذا الشأن يقول السيد
الطباطبائي صاحب تفسير الميزان رحمته الله:
(إن النوع الإنساني، و لا كل نوع إنساني،



بل هذا النسل الموجود من الإنسان ليس نوعاً مشتقاً من نوع آخر حيواني أو غيره حولته إليه الطبيعة المتحولة المتكاملة، بل هو نوع أبدعه الله تعالى من الأرض، فقد كانت الأرض و ما عليها و السماء و لا إنسان، ثم خلق زوجان أثنان من هذا النوع و إليهما ينتهي هذا النسل الموجود.. وأما ما أفترضه علماء الطبيعة من تحول الأنواع، و إن الإنسان مشتق من القرد، و عليه مدار البحث الطبيعي اليوم، أو متحول من السمك على ما أحتمله بعض، فإنها هي فرضية، و الفرضية غير مستندة إلى العلم اليقيني، و إنما توضع لتصحيح التعليقات و البيانات العلمية، و لا ينافي اعتبارها اعتبار الحقائق اليقينية، بل حتى الأماكن الذهنية، و إذ لا اعتبار لها أزيد من تعليل الآثار و الأحكام المربوطة بموضوع البحث..^(١)

فالأعتراض الأول أن ليس أصل الإنسان قرداً، أو أي شيء آخر، و في الحقيقة إن نظرية كون الإنسان قرداً هي

(١) الجواهر النورانية، السيد الطباطبائي، أعداد و جمع رضوان سعيد فقيه، ص ٢٢٩.

نظرية عُرِفَت عن (داروين) و ألتصقت به، لكن لو رجعنا إلى الفلسفات الأخرى، و بالخصوص الفلسفات الأسوية حول أصل الإنسان لوجدنا العجب العجيب، و كل ذلك ليس مدار بحثنا هذا، لكن المهم إن قضية أن أصل الإنسان قرد أو ما شاكلها غير مقبولة، و تتعارض مع الثوابت الإسلامية و التي منها كون الإنسان أشرف المخلوقات، و أفضلها، و قد خلقه الله تعالى كما هو عليه الآن بلا تغيير أو تبديل أو تعديل أو تطور، و بما أن علم الأنثروبولوجيا، و بالخصوص الغربي منه يؤمن بأن أصل الإنسان قرد لذا فلقد شُطِبَ على هذا العلم، بل حُرِمَ لهذا السبب.

٢. السبب الثاني:-

ارتباط نشأة الأنثروبولوجيا، وبداياتها التاريخية بالاستعمار، حيث كانت الدراسات تتم على المجتمعات البدائية و المتخلفة بهدف معرفة بنيتها التركيبية، و طبيعتها الثقافية، مما يسهل أستعمارها، فأصبحت (الأنثروبولوجيا) أداة أستعمارية هدفها تسهيل مهمة الاستعمار والسيطرة

وأستعباد الشعوب.

وهنا يقول (جيرار لكرك): ((إن موقف الأنثروبولوجيا الاستعماري لم يتوضح بالفعل إلا بعد أن بدأت مرحلة إنهاء الاستعمار في العالم الثالث... يمكن القول إذن إن الإمبريالية الاستعمارية المعاصرة تتوافق زمنياً مع الأنثروبولوجيا المعاصرة...))^(٢).

لقد كان الاستشراق المصدر الأول للبدايات التأملية الأنثروبولوجية في الشرق الأوسط - على سبيل المثال، ففي تلك المرحلة كان المستشرقون حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً علماء للعهدين القديم والجديد، أو مبشرين، وفي أفضل الحالات علماء بالدراسات السامية، و من أجل ذلك يربط (أدورد سعيد) بين الاستشراق والأنثروبولوجيا، ليس في النشأة، بل في المادة التي أعتمدها، ثم في أنهما علمان استعماريان، أو نشأ في مرحلة الاستعمار وخدمته^(٣).

(٢) الأنثروبولوجيا والاستعمار، جيرار لكرك، ص ١٢.

(٣) الاستشراق، أدورد سعيد.

لكن لا بد من عدم الخلط، فالأنثروبولوجيا علم وضعي أستغل من قبل الاستعمار وغيره، لخدمة غاياته، فهو - أي الأنثروبولوجيا - قابل لأن يكون أداة خير أو شر على حد سواء، فالخلل ليس في العلم، بل في آلية العمل والاستخدام.

و إن كان ظننا أن نحرم كل ما جاء به الاستعمار فعلى الأرجح ستتوقف المسيرة الخاصة بنا، و سترجع إلى ما يسمى بـ(عصر قبل التاريخ)، إذ يكفي لأي عاقل أن ينظر إلى ما حوله فيجد كل المنتجات الموجودة هي من مناشئ أجنبية صنعتها الدول التي كانت تستعمرنا في يوم من الأيام، و منها (المطابع، و الورق، و الأحبار، و أدوات الكتابة، الكمبيوترات، والطابعات، و...، إلخ...) بل كل شيء على ما يبدو؟؟؟؟!!!.

فعلينا ترك هذا السبب و رميه خلفنا، و الأيمان بما سوف نقدمه في المستقبل عن طريق استغلال وسائل التطور لتحصيل الاستقلال المعرفي الخاص بنا، لا بأن نطبق المنظومة الغربية في كل مجالات حياتنا، و بالخصوص في مجال التعليم، و في نفس الوقت ننقدها، وفي ذلك و بحق (نفاق)



نستعيز بالله تعالى منه.

٣. السبب الثالث:-

الحساسية من المصطلح، فمصطلح (الأنثروبولوجيا) ليس مصطلحاً عربياً، و لم يشتق من لغة العرب، بل هو مصطلح ذو أصل لاتيني، و قيل يوناني، و قيل غربي، المهم أنه مصطلح وافد، و بما أن هنالك حساسية من كل وافد غريب، و المشهور محاربة و تحريم كل وافد أجنبي، فلا بد إذن من تحريم (الأنثروبولوجيا) و لو اصطلاحاً.

لذا فإن (أشكالية المصطلح) هي إشكالية لا تنتهي، و بالخصوص ما بين دعاة التراث و دعاة المعاصرة، فكلاهما يكفر الآخر وفق هذه المشكلة التي لا حل لها أبداً.

و عن قضية (المصطلح)^(٤) نقول: إن المصطلح عبارة عن اختصار و إجمال لقضية أو لعلم ما جاء موافقاً لسياقات التعبير اللغوي و موافقة التأويل المراد.

(٤) المصطلح باللغة الأنكليزية (term) و هو مشتق من الكلمة اللاتينية (terminus)، أما علم المصطلح فهو (Terminology).

(٥) البيان و التبيين، الجاحظ، ج ١، ص ١٣٩.
(٦) مفاتيح العلوم، الخوارزمي، ص ٢ - ٣.
(٧) الصاحبي، ابن فارس، ص ٧.

يقول: ((...فإن لكل اصطلاحاً خاصاً به...))^(٨).

و نجد كتب و مؤلفات أعتنت بذلك و ذكرته كـ(كتاب التعريف بالمصطلح الشريف) للقاضي ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ)، و كتاب (بلغة الغريب في مصطلح آثار الحبيب) للشيخ محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ).

ويقول (الرجاني) في تعريفه للاصطلاح أنه: ((عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما يُنقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما. و قيل: الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بازاء المعنى. و قيل: الاصطلاح: إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى آخر، لبيان المراد. و قيل: الاصطلاح: لفظ معين بين قوم معينين))^(٩).

إذن فالمستفاد وجود الاصطلاح و المصطلح في التراث، و هناك كتب عديدة

(٨) كشف اصطلاحات الفنون، التهانوي، ج ١، ص ٣.

(٩) التعريفات، الرجاني، ص ٢٣.

ألفت حوله و بحثت فيه و أشارت إليه.

ومن جراء كل ذلك و ما يحيط به و من تداعياته و إلتباساته و ما أحاطت به من مشاكل و تساؤلات نشأ (علم المصطلح) وهو علم حديث يعدّ من العلوم التي ظهرت في القرن العشرين، هدفه تحقيق الهدف المطلوب من مواكبة التطور العلمي و التقني الذي يشهده العالم، و تحقيق الفهم الصحيح لكل وافد جديد بما يلائم اللغة و عقل المتلقي.

وقد عرفوا (علم المصطلح) بأنه هو: ((حقل المعرفة الذي يعالج تكوين التصورات، و تسميتها سواء في موضوع حقل خاص، أو في جملة حقول المواضيع))^(١٠).

كما وان تأسيس (المجامع اللغوية)^(١١)

(١٠) معجم مفردات علم المصطلح، هيئة المواصفات والمقاييس العربية السورية، مجلة (اللسان العربي)، الرباط، المغرب، ع ٢٤، ١٩٨٥، ص ٢٢٣.

(١١) كـ(مجمع دمشق ١٩١٩، و مجمع القاهرة ١٩٣٢، و مجمع بغداد ١٩٤٧، و اتحاد المجامع العربية ١٩٧٠، و مجمع عمان ١٩٧٦، و المجمع السعودي ١٩٨٣، و مجمع الجزائر ١٩٨٦).



كان من أجل وضع المصطلحات العلمية التي تفتقر إليها اللغة العربية، ودراسة المصطلحات الوافدة والجديدة وإبداء الرأي فيها^(١٢).

في تعريف الأنثروبولوجيا

و هنا سوف نحاول الوقوف على تعريف هذا المصطلح للوقوف على ماهيته و حقيقته، فنقول:

الأنثروبولوجيا هي: علم الإنسان، و قد نحتت الكلمة من كلمتين يونانيتين هما (anthropos) ومعناها "الإنسان"، و (logos) ومعناها "علم"، و عليه فإن المعنى اللفظي لإصطلاح الأنثروبولوجيا (anthropology) هو: علم الإنسان^(١٣).
وتعرف الأنثروبولوجيا تعريفات عدة أشهرها:

١. علم الإنسان.

٢. علم الإنسان وأعماله وسلوكه.

٣. علم الجماعات البشرية وسلوكها

(١٢) الأدوات المعرفية، الشيخ ليث عبد الحسين العتابي.

(١٣) المعجم الموسوعي لمصطلحات الحداثة ونقدها، مادة أنثروبولوجيا/ مدخل إلى الأنثروبولوجيا، حسن أبوزيد، ص ١٣-١٤.

وإنتاجها.

٤. علم الإنسان من حيث هو كائن طبيعي وأجتماعي وحضاري.

٥. علم الحضارات والمجتمعات البشرية^(١٤).

وقد عرفته عالمة الأنثروبولوجيا الشهيرة (مارجريت ميد)^(١٥) بقولها: ((أن الأنثروبولوجي يحاول وصف الخصائص الإنسانية، البيولوجية، و الثقافية للجنس البشري عبر الأزمان، و في مختلف المناطق، ويحلل الصفات البيولوجية والثقافية و المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة، كما يصف و يحلل النظم الاجتماعية و التكنولوجية، و يبحث الإدراك العقلي للإنسان و ابتكاراته و معتقداته و وسائل أتصالاته))^(١٦).

وعرفه شكر سليم بأنه: ((علم دراسة

الأنسان طبيعياً وأجتماعياً وحضارياً))^(١٧).

وتُعرف الأنثروبولوجيا بأنها العلم

(١٤) المدخل إلى علم الأنثروبولوجيا، شاعر مصطفى سليم، ص ٧.

(١٥) مارجريت ميد (١٩٠١ - ١٩٧٩ م).

(١٦) قصة الأنثروبولوجيا، حسين فهميم، ص ١٣.

(١٧) قاموس الأنثروبولوجيا، ص ٥٦.



الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة، ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكاً محدوداً، وهو أيضاً العلم الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، و يحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل، ولذا يعتبر علم دراسة الإنسان (الأنثروبولوجيا) علماً متطوراً، يدرس الإنسان و سلوكه، و أعماله^(١٨).

فعلم الأنثروبولوجيا يدرس الإنسان بكونه أحد أفراد مملكة الحيوان، و تدرس سلوك الإنسان في المجتمع، و الأشكال الأولى للإنسان، و المجاميع الأولى لبني البشر، كما و تحاول الأنثروبولوجيا كشف و توصيف المعايير الفيزيكية التي تميز الجنس البشري عن سائر الكائنات الحية الأخرى، وفق دراسات ذاتية و مقارنة حتى داخل الأسرة الواحدة^(١٩).

(١٨) مدخل إلى علم الإنسان، عيسى الشماس، ص ١٣-١٤.

(١٩) المعجم الموسوعي لمصطلحات الحداثة و نقدها، مادة أنثروبولوجيا.

و تقسم الأنثروبولوجيا على أربعة أقسام رئيسية من وجهة نظر الأنثروبولوجيين في بريطانيا، و هذه الأقسام هي:

١. الأنثروبولوجيا الطبيعية (physical anthropology).

٢. الأنثروبولوجيا الاجتماعية (Social anthropology).

٣. الأنثروبولوجيا الحضارية أو (الثقافية) (Cultural anthropology).

٤. الأنثروبولوجيا التطبيقية (Applied anthropology).

و للأنثروبولوجيا علاقة وثيقة ببعض العلوم الاجتماعية أهمها:

١. الأثنولوجيا: وهي علم تاريخ الحضارات والعلاقات الحضارية بين الشعوب، وتصنيف الحضارات وتوزيعها و انتشارها في العالم.

٢. الأثنوغرافيا: وهي الدراسة الوصفية للمجتمعات و حضاراتها.

٣. الأركيولوجيا: (علم الآثار): وهي الدراسة الأثنولوجية، و الأثنوغرافية لحضارات شعوب بائدة من الآثار التي يجدها العلماء في الحفريات.





٤. علم الاجتماع: و هو دراسة الظواهر التي تنبثق عن العلاقات بين المجموعات البشرية، ودراسة العلاقة بين الإنسان و بيئته البشرية، ويركز علم الاجتماع الحديث في دراسته على الظواهر الاجتماعية الأكثر تقدماً، أي على مشكلات المجتمعات المعقدة و المتطورة^(٢٠).

و لابد ان نعلم ان علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا علمين متقاربين متشابهين، بحيث لا يمكن للباحث الفصل أو التمييز بين هذين العلمين لدرجة تقاربهما، و لمن أراد التفريق بينهما مراجعة الكتب المختصة في ذلك^(٢١).

الأنثروبولوجيا من حيث التاريخ

الظهور الإصطلاحي

لقد ظهر مصطلح (الأنثروبولوجيا) في بريطانيا عام (١٥٩٣ م)، وكان المقصود به دراسة الإنسان من جميع جوانبه الطبيعية و السيكولوجية و الاجتماعية، و ظل يحمل

(٢٠) المدخل إلى الأنثروبولوجيا، شاكر مصطفى سليم و ص ١٤ - ١٦.

(٢١) المعجم الموسوعي لمصطلحات الحداثة و نقدها، مادة أنثروبولوجيا.

معنى الدراسة المقارنة للجنس البشري، و يحاول أصحاب هذا العلم دراسة الإنسان و كل أعماله، أي كل منجزاته المادية و الفكرية، أي الدراسة الشاملة للإنسان، أما كعلم إنسان مختص لم يعرف في الغرب إلا منذ قرنين من الزمان، و إن الأنثروبولوجيين الغربيين، و لا سيما الأوروبيون منهم، يرون أن الأصول النظرية الأساسية لعلم الأنثروبولوجيا ظهرت إبان عصر (التنوير) في أوروبا، أي في (عصر النهضة) حيث تمت كشوفات جغرافية، و ثقافية، و صناعية كثيرة داخل أوروبا و خارجها.

و بذلك نعلم أن علم الأنثروبولوجيا - بما يحمل المسمى من معنى - علم حديث العهد إذا ما قيس ببعض العلوم الأخرى كالفلسفة و الطب و الفلك و غيرها.

وعن كلمة (أنثروبولوجيا) يذكر الباحث الفرنسي (جان بواريه): (إنها ظهرت أولاً في كتابات علماء الطبيعة إبان القرن الثامن عشر لتعني بدراسة التاريخ الطبيعي للإنسان)^(٢٢).

(٢٢) قصة الأنثروبولوجيا، حسين فهميم، ص ١٣ - ١٩.

أما فروع (الأنثروبولوجيا) المتعددة فلم يشهد هذا العلم قبل النصف الثاني من القرن العشرين تقسيمات، و فروعاً متعددة، إذ كانت قبل ذلك خاصة بالباحث، و العالم المتخصص بهذا العلم، و مع إنطلاقها في الستينات من القرن العشرين أخذت تتبلور حتى وصلت إلى أن تكون علماً مستقلاً له خصوصيته و معالمة و أهدافه، لذا فقد شهد القرن العشرين مراحل تكوين الأنثروبولوجيا و تطويرها لتصبح كياناً أكاديمياً، و مهنة عند الكثير من العلماء

الأنثروبولوجيا من حيث المحتوى

أما من حيث المحتوى، وهو دراسة الإنسان و كل ما يتعلق به، و دراسة المجتمع، و البحث في الشؤون الإنسانية، و المجتمعات البشرية فقديم قدم الإنسان و ذلك مذ و عى الإنسان ذاته و بدأ يسعى للتفاعل مع بيئته و مجتمعه و أبناء جنسه.

إن الأهتمام بالإنسان، و بكل ما يختص به هو محور الديانات، و رسالات الأنبياء و المرسلين ﷺ، و الكتب السماوية، لكن و بما أن الكثير من التحريف و التزوير قد

طراً على الرسائل و الكتب السابقة، فلم يبق لنا إلا مصدر واحد ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢].

ألا و هو (القرآن الكريم)، و بذلك يصبح علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) علم إسلامي بامتياز، وضع أسسه القرآن الكريم، و وضحت هذه الأسس في الأحاديث الشريفة للنبي محمد ﷺ، و لباقي المعصومين ﷺ، ثم أمتاز به الرحالة و المستكشفون و البلدانون المسلمون، و الذين جابوا مختلف الأصقاع من أجل البحث و التنقيب و المقارنة بين المجتمعات البشرية، و بذلك كانوا أنثروبولوجيين بمعنى الكلمة قبل أن يظهر هذا المصطلح في أوروبا.

ولقد قام هؤلاء العلماء المسلمون برحلاتهم أهتداءً و أقتداءً بقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٠] و قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغْمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [سورة النساء: ١٠٠].

لذا فقد طاف العلماء حول المسلمون



العالم، و درسوه جيداً، و سجلوا و دونوا كل شيء عن شعوبه، لذا فإن أسس و أهداف الأنثروبولوجيا الحديثة قد حقق أهدافها العلماء المسلمون قبل أن يظهر هذا المصطلح، و قبل أن يصبح علماً، و اختصاصاً تُساق له النظريات، و تُكتب حوله الأبحاث، وله فروع و اختصاصاته في الكليات و الجامعات.

القرآن و علم الإنسان

وهنا لابد أن نقف على حقيقة مهمة جداً ألا و هي؛ إن علم الإنسان القرآني هو العلم الذي يتخذ من القرآن مرجعاً و منطلقاً مؤسساً لكل ما يتعلق ببني الإنسان، كل ذلك من أجل صياغة تصور جديد و حقيقي نابع من الواقع و مبعث لهيمنة النظريات المادية على هذا العلم بما يرجعه إلى حظيرته الأولى و الحقيقية، و بما يحفظ للإنسان خصوصيته و كرامته و موقعه الحقيقي، و ما التعدد الشكلي و اللوني و اللساني و الثقافي و المعيشي إلا عنصر تنوع و إثراء و قوة للحضارة البشرية.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْمَسْكُوتِ وَالْوَنُكُورِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الروم: ٢٢].

إن مسألة اختلاف الألوان، و اللغات، و غيرها، يرجع إلى اختلاف الدماء وهو مبني على نظرية (النشوء و الارتقاء)، و قضية التطور في الأنواع، القائلة بانهاء النسل في كل لون إلى غير ما ينتهي إليه نسل اللون الآخر، و بذلك يصبح لكل نوع أب رئيسي، أو (آدم) خاص بهم.

أما القرآن الكريم فظاهر آياته تشير إلى أن هذا النسل الحاضر من الإنسان - في كل مكان - ينتهي إلى ذكر و أب واحد سماه الله تعالى في كتابه (آدم)، و إلى أنثى و أم واحدة لم يسمها تعالى في كتابه، و لكن الروايات تسميها (حواء).

إن السبب الأساس و الرئيس في جعل القرآن مرجعاً لتأصيل علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) كونه كتاب الإنسانية الخالد، و المرجعية الربانية في العقيدة و الشريعة والسلوك، و لأن الدين الإسلامي هو دين الفطرة الإنسانية.

﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ



اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ
ذَلِكَ الَّذِي الْقَيْمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[سورة الروم: ٣٠]

إن دراسة الإنسان من منطلق قرآني
يمثل النظرة الحقيقية و الموضوعية للمراد
الإلهي، و النظرة الألهية لبني البشر، نظرة
الخالق، نظر العارف والعالم بالجنس البشري
المستوعبة لدقائق الأمور، ولأساسيات
الخلقة، النظرة الشاملة والواضحة و
المتوازنة المندرجة ضمن نظام دقيق لتسيير
المخلوقات ليس فيه أي خلل أو قصور، و
لا يعترية العطب أو التعب أبداً.

﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا
مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا
يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يس: ٣٦].

إن مسألة التواصل، و التلاحق الثقافي
هو منهج هدفه إزالة السلبات، و الرجوع
إلى قاعدة الأصل الواحد التي نادى بها
الإسلام عن طريق كتابه الذي يعتبر
الدستور الإنساني.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].
فقضية تلاحق الثقافات و الحضارات،
و نفي السلبات، و إزالة الفوارق، و دعم
الأمجيات، و تنمية عمل الخير، و نشر
المحبة و الألفة و السلام، تشير الى أن ما
يجمع البشر هو أكثر مما يفرقهم، و ما تنوع
الأجناس، و الألوان، و اللغات إلا آية من
آيات الله تعالى، و ما وضعها الله تعالى إلا
لحكمة بالغة هدفها الوصول إلى التكامل
الجمعي الإنساني الوحدوي، و هذا هو
مصدق قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَيْدِيهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنُكْمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الروم: ٢٢].

و هذا إثبات للإنسان بأن كل ما علمه
و سيعلمه لا شيء بالنسبة للعلم الألهي، و
للحكمة الألهية.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾
[سورة الأسراء: ٨٥].

وإن المخلوقات كلها بما فيها الإنسان
ما هي إلا خلق الله سبحانه و تعالى، فعلى
الإنسان ألا يتعالى، و ألا يتكبر و يصنع
الفوارق.



﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ
مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة
الأنعام: ٣٨].

كما و إن معتقدات بني الإنسان لها
أصل واحد، فالدين واحد و إن ما جرى
من تفرق فهو طارئ دخيل، فالفطرة
الأولية، و الدين الأولي هو التوحيد، و إن
تعددت مسمياته^(٢٣).

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ
اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
يُنِيبُ﴾ [سورة الشورى: ١٣].

كما و إن الأنسان الأول إنسان كامل
بخلاف كل النظريات اللادينية و التي
ترجع الإنسان إلى القرد أو إلى السمك أو
إلى الحشرات و ما شاكلها.

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ
الْإِنْسَنِ مِنْ طِينٍ﴾ [سورة السجدة: ٧].

(٢٣) هنالك أبحاث تؤكد إن الدين و منذ بزوغ
فجر البشرية هو (الإسلام).

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (٥) ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ
دَافِقٍ﴾ (٦) ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ [سورة
الطارق: ٥-٧].

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ
خَلْقَ الْإِنْسَنِ مِنْ طِينٍ﴾ (٧) ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ
مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ (٨) ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ
وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾
[سورة السجدة: ٧-٩].

و إن قضية تطور و ارتقاء الإنسان
من المشي على أربع ثم على اثنتين، و إن
أصل الإنسان قرد ما هي إلا مزاعم باطلة،
مخالفة للشرع و العقل، فالله سبحانه و
تعالى هو الذي خلق المخلوقات كما هي
عليه أشكاها اليوم.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ
يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة
آل عمران: ٦].

فالمخلوقات لها خصوصياتها التي
أختصها الله تعالى بها لحكمة بالغة من
عنده، و هي مخلوقة منذ الخلق و لحد اليوم
بنفس أشكاها فلا تغيير و لا تبديل و لا
غير ذلك.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ. وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة النور: ٤٥].

الأنثروبولوجيا القرآنية
علم الإنسان القرآني

إن المراد بـ(الأنثروبولوجيا القرآنية) هو الصورة السائدة عن الإنسان في القرآن الكريم، فالقرآن شكّل صورة رفيعة مليئة بالقيم الروحية عن الإنسان.

إن علاقة علم الإنسان بالقرآن علاقة وثيقة، لأن القرآن الكريم أنزله الله سبحانه وتعالى لهداية البشرية جمعاء، ومحور القرآن الكريم هو (الإنسان)، و (علم الإنسان) المعروف بـ(الأنثروبولوجيا) خصوصاً علم وضعي وضعه الإنسان لدراسة (الإنسان) ليصل إلى فهم الإنسان، و من خلال هذا الفهم يمكن أن يحدث التقارب والوثام، و نبذ التباعد و الخصام، فبسبب الحروب، و المشاكل، و المشاحنات التي حدثت و تحدث بين الشعوب، و التي سببها أن الإنسان لا يفهم أخاه الإنسان، وإن الإنسان لا يعطي مساحة للآخر

الإنساني في فكره، ولا حياته، ولا مستقبله، فوصلت هذه المشاحنات إلى داخل البلد الواحد، و الطائفة الواحدة.

و إن علم الإنسان يهدف إلى الوصول إلى وحدة الجنس البشري، و فهم الإنسان للإنسان فـ(كلكم لآدم، و آدم من تراب). و إن عنصر المفاضلة في الإسلام بين بني الإنسان يختلف عنه في (البراغماتية)، و(الرأسمالية)، و(الشيوعية)، و باقي النظريات الوضعية، والفلسفات (اللا دينية).

و علم الإنسان يدرس الإنسان من حيث جسمه و طبيعته البيولوجية، و من خلال هذه الدراسة وصل هذا العلم إلى أمور مهمة، لكن القرآن الكريم سبق هذا العلم في أمور كثيرة، و مواضيع مهمة، و ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَحْشِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الأعراف: ٧٠].

فتفضيل الإنسان على باقي المخلوقات كان لأسباب كثيرة منها طبيعة الخلق المعقد لهذا الكائن الفريد.



لمبدأ الاستعلاء و الهيمنة، و مبدأ النفعية الضيقة، و الأقصاء و التهميش.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم: ٤١].

لقد ظلت الرؤية العلمانية تستأثر بعلم (الأنثروبولوجيا)، و توظفه لخدمة مصالحها، وأغراضها الاستراتيجية، منتهجة في ذلك منهجاً بعيداً كل البعد عن أسس البحث العلمي النزيه، و عن طريق نظرياتها و مناهجها و مبرراتها فقد أورثت الإنسان - في علاقته بالكون و الإنسان - رؤية غير سليمة، و غير موضوعية في كثير من العلوم و التعاملات. و على الرغم من دحض الكثير من نظرياتها، و مناهجها إلا أنها مازالت مهيمنة على الساحة العلمية و التعليمية، إن النظرة المادية الأحادية البعد و التوظيف و الغير الإنسانية للأنثروبولوجيا الغربية، و التي وصم بها هذا العلم الإنساني تفرض علينا اليوم اقتحام هذا العلم، و إتخاذ منطلق للبحث فيه من زاوية علمية، و إنسانية متعددة الأبعاد، و تكوين رؤية متناسقة

لكن كتب الأنثروبولوجيا مليئة بنظريات (داروين)، والأراء (المادية) البعيدة عن العقل، والدين، وطبيعة الخلقة. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة العنكبوت: ١٩].

إن البحث في القضايا الإنسانية المصيرية المتعلقة بخلق الإنسان و نشأته و تطوره و تفاعله سلباً أو إيجاباً مع محيطه، و مع أخيه الإنسان، و القدرة على التواصل باللغة و غيرها، و التنوع الديني، و الثقافي، و اللغوي، و الشكلي، و اللوني، و إنتاج العلم و المعرفة، و إبتكار وسائل تكنولوجيا، كل هذه قضايا و مباحث مهمة من شأنها أن تقرب المسافات بين الشعوب و الأمم، أو تعمل على تعميق الفارقة و الهوة بينهما بناءً على توجيه البحث، و الأهداف و الغايات المرادة منه.

فلا بد أن نؤمن بأن الفروق الموجودة بين بني البشر هي ليست فروقاً حقيقية، و ليست ذاتية، و لا تؤخذ بنظر الاعتبار، و ليس على البشر أن يؤمنوا بها، و يتعاملوا وفقها، فكل ذلك ما هو إلا تكريس

متسمة بالحياة، و الموضوعية، و النزاهة،
و الشمول، مبنية على الواقع، و البرهان
العلمي، و التطبيق الواقعي، لكي نتجاوز
نظريات الحالة الراهنة، و التي جعلتنا
مقلدين بامتياز بلا أدنى تفكير، فارضة
علينا رؤية محدودة، وأفقا مسدوداً، مما
يجعلنا - لو تمسكنا بها - بنبي مصيرنا على
أوهام و تخرصات، و على نظريات لا تمت
- في أكثرها - إلى الواقع بصلة، أساسها
الاعتماد على جزئيات، و أعتقادات، و
إستقراءات، و نقول بعيدة عن أرض
الواقع، و الله سبحانه و تعالى هو القائل:
﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة
الأسراء: ٨٥].

والمشكلة إن مراكزنا التعليمية،
و جامعاتنا، و كليتنا، و بعض الصحف و
المجلات، و أنصاف المثقفين يتحدثون عنها
و يعممونها على أنها حقائق مطلقة مما يورث -
إثر ذلك - واقعاً مختلفاً، و ازدواجية في التفكير
لدى الإنسان المسلم، و الذي يرى تناقضاً
كبيراً ما بين ما تنادي به الكثير من النظريات
الأنثروبولوجية، و بين آيات القرآن الكريم،
و أساسيات الدين الإسلامي.

إن علم الإنسان القرآني يتخذ من
القرآن منطلقاً تأسيسياً للبحث، فموضوعه
الإنسان، و مجاله القرآن الكريم، كل ذلك
بقصد بلورة تصور جديد لهذا العلم،
يحفظ للإنسان خصوصيته و كرامته،
و يجعله يعيش الوحدة الإنسانية في إطار
التعدد و التنوع الشكلي و اللوني و اللغوي
و الثقافي، و ذلك باعتبار أن القرآن مصدر
غني للحضارة البشرية، و عامل قوة.

﴿وَمَنْ آتَيْنَاهُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَ أَخْلَفَ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكْرَ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الروم: ٢٢].

و لعل هناك من يتساءل عن السبب
الداعي لاتخاذ القرآن أساساً للتأصيل
الأنثروبولوجي؟.

لذا و في معرض الجواب عن ذلك
نقول: لأن القرآن الكريم هو كتاب
الإنسانية الخالد، و مرجعيته الربانية في
العقيدة و الشريعة و الأخلاق و السلوك،
ولأن الدين الإسلامي هو دين الفطرة
الإنسانية.

﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ



وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾
[سورة الروم: ٣٠].

إن دراسة الإنسان من منطلق قرآني،
و بنظرة موضوعية، و بأسلوب علمي،
و برؤية الوحي التي تمتاز بالشمولية و
الوضوح، و سعة الأفق، تكشف عن جهاز
مفاهيمي يؤصل لبنية التفكير الإسلامي
القائمة على تحقيق التوازن بين طرفي الثنائية
التي يقوم عليها الوجود.

﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا
مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا
يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يس: ٣٦].

فالحقيقة ليست في أحد طرفي الثنائية،
و إنما في الجمع بينهما، و لذلك كانت أمة
الإسلام، أمة وسطاً، تجمع و لا تفرق.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ
عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

فالإسلام قد أستوعب قبائل، و
شعوباً، و أمماً، و ثقافات، و حضارات،
و لم ينتهج سياسة الإلغاء، أو الإقصاء، أو
الهيمنة و السيطرة، و إنما ترك للناس حرية
الاختيار، و الحق في الاختلاف، و القناعة

في الرؤيا، و إن بنية التفكير الإسلامي
قائمة على التعايش و قبول الآخر.

فالإنسان و من منطلق التصور القرآني
يتفاعل مع محيطه تفاعلاً إيجابياً يغيب عنه
منطق الهيمنة، و السيطرة، و الاستعلاء، و
يحضر فيه المشترك الإنساني.

إن تلاقح الحضارات عن طريق
التواصل، و نفي السلبيات، و البحث عن
المشتركات، و تطوير الإيجابيات، و نشر
المحبة و السلم و الأمن وفق رؤية أن ما
يجمع بين البشر هو أكثر مما يفرقهم.

﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٦٤].

والتعامل وفق نظرة قرآنية بحتة ذات
طابع إنساني حقيقي.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة
فصلت: ٣٤].

فإن مبدأ الإنسان هو البحث عن نقاط
الألتقاء، و عن أفضل أساليب التفاهم، إن
القرآن الكريم يبحث عن (صديق)، و لا
يبحث عن عدو.

﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ



كِتَابٌ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا
وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا
حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ
الْمَصِيرُ ﴿[سورة الشورى: ١٥].

من المؤمل لهذه الرؤيا القرآنية أن تقلب
الموازين لتصبح الوحدة هي الأصل.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

وإن التنوع في الجنس و اللون و اللغة
و الثقافة آية من آيات الله سبحانه و تعالى،
وإنها نعمة تستوجب الشكر من جانب، و
البحث العلمي من جانب آخر.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَأَخْلَفُ السِّنِينَكُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الروم: ٢٢].

و لعل القرآن الكريم برؤيته الفاحصة
و المطلقة يفتح آفاق الممكن، حيث حديثه
عن الحضارات البائدة - مثلاً - يجعلنا
نراجع أنفسنا، و أحكامنا عن الحضارات
الآخري، و يدفعنا إلى التحلي بالتواضع
باعتبار أن حضارتنا الحالية ما هي إلا

دورة من الدورات التي عرفها تاريخ
الحضارات البشرية.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣) ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ
أَطْوَارًا﴾ [سورة نوح: ١٣ - ١٤].

﴿قُلِ اللَّهُ يَكْبِدُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى
تُؤْفَكُونَ﴾ [سورة يونس: ٣٤].

لكن و مع كل ما ذكرنا ليست هنالك
اهتمامات بهذا العلم في الوسط الإسلامي
بشكل عام.

خلق الإنسان و تطوره و ما يتعلق به
في المنظور القرآني

إن من أهم الأمور في دراسة شيء هو
معرفة حقيقته، و كل ما يتعلق به، و بما أن
دراستنا هنا هي حول الإنسان، و خلقه، و
نشأته، و كل ما يتعلق بذلك، فما علينا إلا
أن نقف لاستعراض خلق هذا (الكائن)
و كل ما يتعلق بذلك من أمور ذاتية، و
عرضية لها مساس كبير بالموضوع، و ذلك
بنظرة (قرآنية) بحتة.

و لا بد أن نعلم أن أهمية (علم الإنسان)
تتجلى في دراسة الإنسان، و حقيقته، و
تكوينه، و دراسة الثقافات المختلفة لبني
الإنسان، و التطور و التكامل الذي وصل





إليه الإنسان منذ أقدم العصور، وتنوع وتقسيم المجتمعات، وأختلاف اللغات، وما شاكلها من مواضيع ذات صلة بهذا الكائن الفريد.

ونحن في هذا الموضوع سوف نتعرض لتدرج الخلق الإنساني، والمراحل التي مر بها حتى أقام الحضارات وساد البلاد، وحتى نهاية دورة حياته.

١. الإنسان خلق من نطفة:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [سورة يس: ٧٧].

و الآيات القرآنية الكثيرة تشهد بأن الله سبحانه و تعالى جعل بقاء و تكاثر الجنس البشري محصوراً بـ(النطفة) مع إنه تعالى أظهره و خلقه أول مرة من تراب، ف(آدم) خلق من تراب، و إن البشر - كل البشر - بنوه.

٢. وهذه النطفة مرت بتحويلات عديدة:

قال تعالى: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [سورة الحج: ٥].

فالمرحلة الأولى للتكون في الرحم

مرحلة (النطفة) فهو يبقى لفترة معينة يطلق عليه أسم النطفة، ثم بعد ذلك تتحول هذه النطفة إلى (علقة) أي قطعة من الدم، ثم يتحول إلى مرحلة (المضغة) أي إنه يشبه قطعة اللحم المضوغ، و بعدها يدخل مرحلة (الجنين) حيث تبدأ أعضاؤه بالتميز و التكامل و النمو فيتحول إلى شكل جديد، و ذلك هو مصداق قوله تعالى:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٤].

فالقرآن الكريم يذكر هذه المراحل التي مر بها حتى صار خلقاً جديداً و كأن لم يكن أصله نطفة.

وهذا الخلق متمثل بـ(الإنسان) والذي يقف العقل منبهراً عندما يقارن ما بينه، و بين النطفة التي تحدر منها.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٤].

٣. هذه التحويلات يتكون منها الجنين في

الرحم الذي يبقى مدة محددة معينة و معلومة:

قال تعالى: ﴿وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [سورة الحج: ٥].

لكن وسط بيئة تسيطر عليها الظلمات، و التي يسميها العلماء بـ(الساقط، و الكربوني، و الأنيوسي).

قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ﴾ [سورة الزمر: ٦].

٤. ثم بعد أن يولد يسمى (طفلاً):

قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [سورة الحج: ٥].

٥. ثم يكبر و يتطور ليلعب أشده:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ [سورة الحج: ٥].

٦. ثم يسمى الإنسان بعد ذلك (رجلاً):

قال تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ [سورة الكهف: ٣٧].

٧. ثم تحين لحظة أحد السنن الألهية المهمة إلا و هي سنة (الزواج):

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ

نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [سورة الأعراف: ١٨٩].

٨. بعد ذلك تأتي مرحلة أخرى مهمة في استمرار الجنس البشري ألا و هي مرحلة الحمل و الأنجاب المسماة بـ(النسل).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ [سورة الأعراف: ١٨٩].
٩. و من ثم تكون النسل، و كان منوعاً ما بين (ذكور) و (إناث) لتتواصل عملية التكاثر.

فقال تعالى: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [سورة النساء: ١].

١٠. ثم تتكون الأسرة، و التي سوف تكون نواة المجتمع، و هذه الأسرة مكونة من الزوجين، و من البنين، و من ثم من الأحفاد.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [سورة النحل: ٧٢].

١١. ثم من الأسرة تنشأ الأسر، و منها ينشأ المجتمع، ثم تتكون القبائل، و الشعوب المتعددة، و المختلفة، و المتنوعة:



قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

١٢. وبعد ذلك التنوع، والهجرات نشأت لغات و لهجات وألوان متعددة لحكمة إلهية مرادة:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنُكْمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الروم: ٢٢].

فمن جراء التنوع والتعدد كوّن الإنسان حضارات مختلفة، حضارات مازالت أثارها باقية لحد الآن، حضارات في كل أصقاع الكرة الأرضية، إذ لم تكد تخلوا بقعة من أثر لهذا المخلوق ولو مروراً.

وإلى ذلك يشير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة بقوله: (ثم جمع سبحانه من حزن الأرض - أي وعرها - و سهلها، و عذبها و سبخها، تربة سنّها - أي صبّها - بالماء حتى خلصت، و لاطها - أي خلطها و عجنها - بالبلّة حتى لزبت - أي أشدّت - فجبل منها صورة ذات أحناء و وصول، و أعضاء و فصول، أجمدها حتى استمسكت، و أصلدها حتى صلصلت،

لوقت معدود، و أمد معلوم، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا إذهان مجليها، و فكر يتصرف بها، و جوارح يخدمها، و أدوات يقلبها، و معرفة يفرق بها بين الحق و الباطل، و الأذواق و المشام، و الألوان و الأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة، و الأشباه المؤتلفة، و الأضداد المتعادية، و الأخلاط المتباينة، من الحر و البرد، و البلة و الجمود...) (٢٤).

١٣. ثم يصبح هذا الإنسان (كل إنسان) شيخاً كبيراً:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ [سورة غافر: ٦٧].

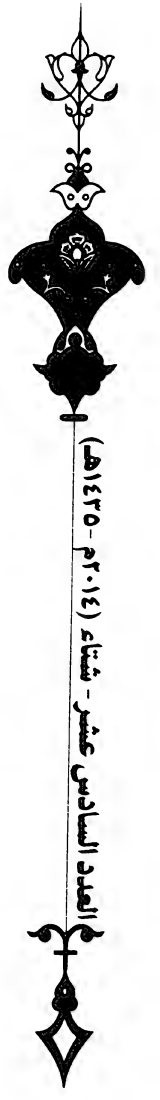
١٤. ثم يموت ذلك الإنسان بسبب إنتهاء دورة حياته:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَنُفِّخُكُم﴾ [سورة النحل: ٧٠].

١٥. و الموت قاعدة كلية تنطبق على جميع البشر بلا إستثناء:

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٥].

لقد أنشأ الله سبحانه و تعالى الإنسان



مركباً من جزأين (بدن) و (روح)، وهما متلازمان، و متصاحبان ما دامت الحياة الدنيا، ثم يموت البدن، فتفارقه الروح الحية.

ولابد أن نعلم أن الإنسان يتميز بصفات خلقية وعضوية خاصة لا يشارحه فيها أي من الكائنات الحية الأخرى وهي:

١. أنتصاب القامة، و السير على قدمين أثنين.

٢. تركيب الرأس من حيث شكله، و مكوناته.

٣. تركيب الجسم من حيث شكله العام، و مقاييس أطرافه (الذراعين) و (الساقين)، و مدى تناسبهما مع الأعضاء الأخرى في الجسم.

٤. محدودية المساحات التي ينبت فيها الشعر، و تحديد أماكن وجودها.

٥. فترة الطفولة الطويلة، مقابل قصرها عند الكائنات الرئيسية الأخرى (الثدييات).

إبطالُ نظرية النشوء و الارتقاء

وهنا لابد أن نقف على أمر مهم ألا و هو نظرية التطور أو نظرية النشوء و الارتقاء

التي نادى بها (داروين) و دعاة المذهب اللاديني من بعده حتى الوقت الحاضر.

لقد زعم البعض بأن فكرة التطور كانت نتيجة لدراسة (فكرة النشوء في علم الحياة) و التي دعا إليها الطبيب الفرنسي (لا مارك)^(٢٥) في كتابه (التاريخ الطبيعي للحيوانات اللافقرية) عرض فيه لقضية تطور الأحياء، و بين طريق التطور، ولكنه عجز عن بيان الصلة بين أنواع الأحياء، كما عجز عن بيان العوامل التي أدت إلى التطور.

ثم جاء بعد ذلك الأنكليزيان (تشارلس داروين) و (ولاس) ليكملا نظرية (لا مارك)، و في عام (١٨٤٢م) نشر داروين رسالة موجزة عما سماه بـ (نظرية النشوء و الارتقاء) فتلقفها دعاة البوهيمية و أحدثوا حولها ضجة ملأت أرجاء العالم، و مازالت لها بقايا حتى يومنا هذا في عقول البعض^(٢٦).

وبالحقيقة لو دققنا بهذه الفكرة

(٢٥) لا مارك (١٧٤٤ - ١٨٢٩ م).

(٢٦) فلسفة الخليفة، كاظم ناصر الحسن،



خلال نظريته أن يقول: (إن الخلق جميعاً نشأ من أصل واحد).

لكن -و بحسب من يقولون ذلك- أستغلت هذه النظرية من قبل الملاحدة الماديين، فتنوها، وأخذوا يدافعون عنها، ومن أشهر أولئك العالم البيولوجي الألماني (أرنست هيغل) فقد قام هذا الشخص بمحاولة لإثبات هذه النظرية و ذلك عندما رأى أن صورة الأجنة لا تتطابق تماماً مع نظرية التطور، فقام بعمليات ترتيش و حذف في صورة الأجنة البشرية لكي يطابقها مع النظرية التي يتزعمونها، لكن أحد العلماء أكتشف عملية التزوير، وأعلنها في الصحف، وتحدى (هيغل) في ذلك، فما كان من (هيغل) إلا أن يعترف بهذه الجريمة بعد فترة صمت و تردد في مقالة كتبها في (١٤ / ١٢ / ١٩٠٨) قال فيها: (إن ما يُعزیه هو أنه لم يكن الوحيد الذي قام بعملية تزوير لإثبات صحة نظرية التطور، بل إن هناك المئات من العلماء و الفلاسفة قاموا بعمليات مماثلة

من التزوير لإثبات هذه النظرية...) (٢٨).

(٢٨) تراجع الكتب التي ذكرناها مسبقاً.

لوجدناها عبارة عن تصور لـ(أسفار الفيدا) الهندية لأصل الخليقة و لكن بشكل معكوس، مع تضمنها لبعض التعديل و التغيير.

و فكرة (النشوء و الارتقاء) تزعم بأن تطور الخليقة بدءاً من الأدنى (الرواشح و الديدان و الحشرات) إلى الأعلى (القرد)، ثم (القروء العليا)، ثم (الإنسان الأول)، كل ذلك يصور عدم وجود خالق.

و لقد عجز (داروين) من إيجاد حلقة وسطى تربط الزواحف و الطيور، كما فشل في إيجاد مثل هذه الحلقة بين القرد و الإنسان، فما كان منهم إلا اللجوء للتزوير (٢٧).

وهناك كلام يُنقل بأن داروين لم يكن ملحداً، و لم يقل بالمصادفة، بل أراد من

(٢٧) يراجع لذلك: تهافت نظرية داروين لأورخان محمد علي، و نظرية التطور هل تعرضت لغسيل دماغ للبروفيسور داون. ث. كيس، و نظرية التطور ليست ثابتة لأورخان محمد علي، و قصة الأيمان لنديم الجسر، و حقيقة الخلق و نظرية التطور لفتح الله كولن، و نقد نظرية داروين للشيخ رضا الأصفهاني، و الردود الكثيرة لعلماء الشيعة على هذه النظرية و كل ما يتعلق بها.

و إلى ذلك يشير السيد الطباطبائي رحمته الله بقوله: (إن النوع الإنساني، و لا كل نوع إنساني، بل هذا النسل الموجود من الإنسان ليس نوعاً مشتقاً من نوع آخر حيواني أو غيره حولته إليه الطبيعة المتحولة المتكاملة، بل هو نوع أبدعه الله تعالى من الأرض، فقد كانت الأرض و ما عليها و السماء و لا إنسان، ثم خلق زوجان أثنان من هذا النوع و إليهما ينتهي هذا النسل الموجود.. و أما ما أفترضه علماء الطبيعة من تحول الأنواع، و إن الإنسان مشتق من القرد، و عليه مدار البحث الطبيعي اليوم، أو متحول من السمك على ما أحتمله بعض، فإنما هي فرضية، و الفرضية غير مستندة إلى العلم اليقيني، و إنما توضع لتصحيح التعليلات و البيانات العلمية، و لا ينافي اعتبارها اعتبار الحقائق اليقينية، بل حتى الأماكن الذهنية، و إذ لا اعتبار لها أزيد من تعليل الآثار، و الأحكام المربوطة بموضوع البحث..)^(٢٩).

نعم، إن بعض الحفريات التي

(٢٩) الجواهر النورانية، السيد الطباطبائي، أعداد و جمع رضوان سعيد فقيه، ص ٢٢٩.

تمت في مجال (الحفريات البشرية) (paleontology) و الذي يعتبر أحد فروع الأثنوبولوجيا العضوية قالت: إن الإنسان القديم و الذي كان يعيش على هذه الأرض منذ ما يقارب من نصف مليون سنة، كان يختلف عن الإنسان الحالي، حيث كان أكبر حجماً و أقوى بنية، و هذا ما أثبتته القرآن الكريم في العديد من آياته.

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [سورة الروم: ٩].

و قال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾ [سورة التوبة: ٦٩].

مسألة البدائية

بين الحقيقة و الوضع و التنظير

إن مسألة تثبيت مرحلة (البدائية) جاءت جراء دراسة مجتمعات و أقوام موجودة حالياً بحجة؛ أنها تحاكي أو تطابق المجتمعات البدائية، و في الحقيقة هذا ما تبناه الفلاسفة المادية، و أصحاب



النظريات اللادينية.

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿[سورة إبراهيم: ٤].

فإن كانت البدائية و التي تساوق الحيوانية و البهيمية مرحلة حقيقية فما الفرق بين الإنسان و الحيوان؟. و هذا تأكيد على النظرية (الدارونية) البعيدة عن الواقع، و التي أثبت العلم كذبها، و بالتالي فما الحكمة من إرسال الرسل و الأنبياء ﷺ من أول يوم للإنسان على الأرض، و حتى سني خاتم الأنبياء و المرسلين ﷺ.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ [سورة المؤمنون: ٤٤].

وإذا كانت مرحلة سابقة لمرحلة (العقل) و (التطور) فهذا مخالف للعدل الإلهي، و للخطاب الإلهي القائل بالكرامة الإنسانية.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الأسراء: ٧٠].

و نحن نعلم بأن الإنسان الأول هو (آدم) و زوجته (حواء) نزلا إلى الأرض حيث لا إنسان، ثم كونا عائلة، و من ثم تكون المجتمع، و كذلك نعلم بأن الهداية

فقد قام جملة من علماء الإنسان السذج بدراسة أقوام في (الكونغو، و الأمازون، و أستراليا، و أماكن أخرى)، من خلال اعتبارهم الأمتداد للطور البدائي، و إنهم يحاكون تلك المرحلة.

والمشكلة هي: لنثبت وجود هذه المرحلة، و من ثم نحكيها، أو نبني النظريات حولها، أو نبحث عن ما يشابهها لنعقد مقارنات نستحصل منها الحقائق اللازمة عن تلك المرحلة الزمنية.

إن الله سبحانه و تعالى هو خالق الإنسان، و هو الذي وضع فيه العقل، و جعله مفكراً عاقلاً متأملاً، تواقاً لبني جنسه، اجتماعياً بطبعه، محباً للتعرف على الأشياء، ولكل ما يساهم في راحته و سكينته، ديدنه التغير و التبديل و التطور لما هو أحسن و أفضل. و لذلك أرسل الله سبحانه و تعالى الرسل و الأنبياء ﷺ، و أشار إلى أن إرسالهم كان (بلغة أقوامهم).

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ

سابقة للضلال، و إن الحضارة و المدنية
سابقة للبداية و التخلف، و ما (البداية)
إلا مرحلة إفتراضية طارئة جاء بها
أصحاب الفلسفات المادية، و دعاة الفكر
العلماني اللاديني.

لكن المشكلة الواجب أن نلتفت لها؛
أن قضية (البداية) موجودة في الكتب و
المناهج الدراسية للدول الإسلامية، سواء
في (التاريخ)، أو (علم الاجتماع)، أو
(علم الإنسان)، أو (علم الآثار). و بذلك
أصبح واقعاً يشكل حيزاً في ذهنيات ابنائنا
يتعلمونه من المدارس التابعة لدول ترفع
شعار الإسلام ؟؟؟!!!.

خلاصة البحث القرآني

حول الوجود الإنساني

إن الباحث في علم الإنسان القرآني
ينتهي إلى النتائج التالية، و التي قد
تشكل قواعد مهمة عليه أن يأخذها على
محمل الجد و يستفيد منها، و هي كثيرة و
متشعبة، و تحتاج إلى دراسات واسعة لكن
و من باب إعطاء صورة مجملة فسوف
نتعرض لها و بشكل إجمالي، و هي كالآتي:
١. وحدة الخلق لجميع المخلوقات:

فكل المخلوقات مرجعها خالق واحد
ألا و هو الله سبحانه و تعالى.
﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَقْنَاهُ فِي الْكِتَابِ
مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة
الأنعام: ٣٨].

٢. وحدة الجنس البشري:

أي أنه واحد من حيث عدم تشابهه مع
باقي المخلوقات، فهو كائن فريد يختلف
عن باقي المخلوقات و يتميز عنها بميزات
كثيرة أهمها و أعلاها (العقل).

و أنه واحد أي لم يتغير أو يتطور منذ أن
خلق الإنسان الأول و لحد الآن، فالإنسان
الأول لا يختلف عن الإنسان الحالي، بل
الإنسان كما هو، و مثل ما هو عليه منذ أن
خلق أول مرة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا
كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

٣. وحدة الدين:

الدين واحد، نزل من الواحد، إلى بني
البشر، فكيف تختلف الشرائع السماوية، و



نرى فيها هذا البون الشاسع؟.

في الحقيقة ذلك حصل بسبب
التحريف، والتزوير الإنساني المصلحي، و
إلا فالدين واحد.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا
فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ
اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
يُنِيبُ﴾ [سورة الشورى: ١٣].

وإن البحث القرآني يوصلنا إلى أن
الدين الذي نزل إلى البشرية هو واحد ألا
وهو (الإسلام).

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا
اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
[سورة آل عمران: ١٩].

٤. وحدة اللغة:

فاللغة واحدة من حيث التأسيس و
قضية الالفاظ، و هنالك اختلافات، و
نظريات حول اللغة ناقشها الأصوليون، و
أهل اللغة، وفيما بعد تعددت اللهجات، و

وصلت إلى لغات مستقلة لها خصوصيتها،
وكيانها.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [سورة
البقرة: ٣١].

٥. الإنسان الأول إنسان سوي و كامل
من حيث الخلقة، و العلم، و الأيمان:
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ
طِينٍ﴾ (١٢) ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ
(١٣) ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ
مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا
فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا
آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة
المؤمنون: ١٢ - ١٤].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ
قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
إِبْلِسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [سورة
الأعراف: ١١].

٦. الاختلاف البشري من حيث (الشكل،
واللون، واللغة، والثقافة) هو اختلاف

تنوع لا اختلاف تضاد:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة

وما ذلك إلا آية من آيات الله سبحانه وتعالى.

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِيفُ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكْمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الروم: ٢٢].

٧. هنالك حضارات كثيرة و متنوعة سبقتنا لربما تكون أكثر منا تطوراً و تقدماً:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة غافر: ٢١].

﴿وَكَانَ مِن قَرِيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِن قَرِيكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ [سورة محمد ١٣].

٨. الإنسان منذ خلق و إلى أن يموت هو محتاج إلى الله تعالى في كل شيء شاء أم أبى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر: ١٥].

٩. للبشر خصوصيات تختلف عن باقي المخلوقات:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي

الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الأسراء: ٧٠].

١٠. الإنسان هو العنصر الأرقى في سلسلة الموجودات الأخرى، خلق كما هو عليه الآن، كان خلقه لغاية وهي وراثة الأرض، و عبادة الله و طاعته:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٥].

إن القواعد و النظريات و الناذج التي أعطاهها القرآن الكريم عن (الإنسان)، و التي لها أهميتها في مجال (علم الإنسان) تحتاج إلى تطبيق عملي، و إلى دراسة ميدانية لأثبتات صحتها، و لتأسيس علم إنساني قرآني بامتياز.

